



رسالة رقم (١)

الحمد لله رب العالمين والصلوة والسلام على رسول الله محمد بن عبد الله وعلى آله وصحبه ومن والاه، وسلم تسليماً كثيراً، وبعد:

فهذه قواعد نسجتها من كلام السلف أذكرها في التعامل مع الناس عموماً والمخالف خصوصاً.

* ذكر ما للمخالف من محسنات وحسنات؛ وما عليه من مساوى وسبئات بتجرد وإنصاف تام

وهذا ميزان دقيق ينبغي أن يتكلم به من كملت أهليته، وقويت أدلته، ونوى القربة في النصح لا الفرية والتعيير، سيما أهل الشأن وذوو المقام من ولاة الأمر علماء أو أمراء.

ومما يذكر من إنصاف شيخ الإسلام ابن تيمية رحمة الله في ابن حزم بعد أن بين مخالفاته، قال في (الفتاوى) : "وَإِنْ كَانَ لَهُ مِنْ الإِيمَانِ وَالدِّينِ وَالْعُلُومِ الْوَاسِعَةِ الْكَثِيرَةِ مَا لَا يَدْفَعُهُ إِلَّا مُكَابِرٌ؛ وَيُوجَدُ فِي كُتُبِهِ مِنْ كُثْرَةِ الْإِطْلَاعِ عَلَى الْأَقْوَالِ، وَالْمَعْرِفَةِ بِالْأَحْوَالِ، وَالْتَّعْظِيمِ لِدَعَائِمِ الْإِسْلَامِ، وَلِجَانِبِ الرِّسَالَةِ : مَا لَا يَجْتَمِعُ مِثْلُهُ لِغَيْرِهِ . فَالْمَسَأَلَةُ الَّتِي يَكُونُ فِيهَا حَدِيثٌ، يَكُونُ جَانِبُهُ فِيهَا ظَاهِرًا التَّرْجِيحِ . وَلَهُ مِنْ التَّمْيِيزِ بَيْنَ الصَّحِيحِ وَالضَّعِيفِ وَالْمَعْرِفَةِ بِأَقْوَالِ السَّلَفِ مَا لَا يَكَادُ يَقُولُ مِثْلُهُ لِغَيْرِهِ مِنْ الْفُقَهَاءِ"

قال الإمام الكرجي القصاب : "من لم ينصف خصومه في الاحتجاج لم يقبل بيانيه وأظلم برهانه"

* النية الصادقة في النصح ، من أسباب التوفيق، وتحقيق المطلوب وإحقاق الحق .

وهذه آفة من يتكلم، أنه يريد بذلك سمعة أو عداء من يخالفه ومضاربة به، وحاله كحال من يخلط السم بالعسل، وشأنه كشأن من حدث من الزناقة بأحاديث يوهم بها العامة هو يحل بها حلاً أو يحرم بها حراماً غايتها بذلك زرع الفتنة وبث الكذب فيهم، وهو يرونونه رجالاً حريصاً على نشر السنة وتعليم الخير، وكذلك من تكلم يظهر للناس رأفتة عليهم وحبه لهم، وهو ناوي الطعن والفرية والتعيير، أو الغيبة بطريقة النصح.

قال السراج البلقيني في محسن الاصطلاح ص176: "لكن الانتهاء لمجرد الاعتراض من جملة الأمراض".

فمن كان غايته أن يلفت وجوه الناس له، ويشار له بالبنان لتبقيه سقطة غير ضارة أو قادحة، فهذا مريض القلب ضعيف البصر وال بصيرة بحال البشر، وبعقيدة أهل السنة والجماعة.

ويعظم الأمر إن كان التشنيع لغرض دينوي أو أمر مادي أو منصب وجاهي!

ففي الحلية عن الحسن ابن يسار البصري رحمه الله قال "من النذالة أن يأكل العبدُ بدينه!"

نسأل الله العفو والعافية.

3 _ *الكلام في الرجال له غاية بيان الحق، وإنصاف الخلق، لا التشهي وشرعنـة الهوى.*

قال العلامة عبد الكريم الخضير "في التعليق على الجواب الكافي": "أصل الجرح والتعديل : إنما أبيح للضرورة ؛ لأنه على خلاف الأصل والكلام في الناس لاسيما أهل العلم أمره خطير جداً ؛ أعراض المسلمين حفرة من حفر النار ؛ أعراض المسلمين حفرة من حفر النار ، خطر يعني : يحذر الإنسان كل الحذر أن يتكلم في الناس لا جرح ولا تعديل ؛ إنما أبيح الجرح والتعديل للرواية للضرورة للضرورة ؛ ضرورة حفظ السنة ؛ لا يمكن أن نعرف الصحيح من الضعيف ، المقبول من المردود ، إلا من خلال الجرح والتعديل ؛ وأيضاً الجرح والتعديل بقدر الحاجة : يعني إذا كانت الحاجة تقوم بالأقل ما نظرنا إلى الأعظم ، على كل حالٍ : مسألة الجرح والتعديل والكلام في الرجال إنما يباح للضرورة".

وقال أبو الشاطبي رحمه الله في المواقفات، "إنَّ الطعن والتقييـح في مساق الرد أو الترجـيـح ربما أدى إلى التغالـي والانحراف في المذاهب، زائداً إلى ما تقدم، فيكون ذلك سبب إثارة الأحقـاد الناشـئة عن التقيـيـح الصـادر بين المـخـتلفـين في معارضـة الترجـيـح والمحاجـة" (٥١٩/٤).

4 _ *لا يحكم على الناس إلا بعد التأكـد والتثبت عمـلاً بنـص القرآن والسـنة واتـباعـاً لمنهج سـلف الأـمة.*

وكم من قريب محـبـبـ أـبعـدـ، وطـاهـرـ عـفـيفـ رـمـيـ بهـتـاناـ وزـورـاـ، كـلـهـ بـسـبـبـ جـرـيمـةـ عـدـمـ الإنـصـافـ وـقولـ الـحـقـ، وـلـلـهـ درـ السـلـفـ فيـ هـذـاـ الشـأنـ تـكـلـمـواـ بـالـرـجـالـ بـمـيزـانـ دقـيقـ تـجـرـدـواـ بـهـ عـنـ اـهـوـائـهـ وـحـكـمـواـ فـيـهـ مـيزـانـ الشـرـعـ جـرـحاـ وـتعـديـلاـ، بـذـكـرـ ماـ لـلـرـجـالـ وـمـاـ عـلـيـهـمـ، وـلـوـ كـانـ مـنـ ذـوـيـ الـقـرـبـىـ وـالـرـحـمـ، وـقـصـةـ اـبـنـ الـمـدـيـنـىـ عـامـرـةـ بـهـذـاـ لـمـ سـأـلـهـ عـنـ وـالـدـهـ، فـقـالـ لـهـ إـنـ الـدـيـنـ هـوـ ضـعـيفـ.

وعلى هذا كل من قبل بالتهمة أو شارك بنقلها وتصويرها للغير دون ثبت فهو مشارك بها، ويختلف الحال باختلاف النقل والمقال، وعند الله يجتمع الخلق، فيقف ذات الطعن ومثله الناعق والناقل إن شاء الله في صف أهل الإفلات الذين حكى عنهم النبي صلى الله عليه وسلم، وقارب تشبيهم ما حكاه القرآن عن أفلس فكان عمله هباءً منثوراً.

ومن جميل ما قاله ابن حزم الظاهري رحمه الله، في الإحكام في أصول الأحكام "وسيرد الجميع إلى عالم الغيب فيحكم بيننا فيما فيه نختلف وتالله لتطولن ندامة من لم يجعل حظه من الدين والعلم إلا نصر قول فلان بعينه، ولا يبالي ما أفسد من الحقائق في تلك السبيل العضلة وبالله تعالى نعوذ من الخذلان".

ومن الإنـصـافـ فيـ التـثـبـتـ قـبـولـ الـأـقوـالـ فـيـ الـخـصـمـ دونـ أـنـ يـرـدـ قولـ الـمـصـيـبـ وـالـنـاصـحـ لـهـ، وـيـسـانـدـ قولـ الـطـاعـنـ وـالـمعـيـبـ عليهـ، فـعـنـ اـبـنـ مـسـعـودـ رـضـيـ اللـهـ عـنـهـ قـالـ: "مـنـ جـاءـكـ بـالـحـقـ فـاقـبـلـ مـنـهـ وـإـنـ كـانـ بـعـيـداـ بـغـيـضاـ وـمـنـ جـاءـكـ بـالـبـاطـلـ فـارـدـ عـلـيـهـ وـإـنـ كـانـ حـبـيـباـ قـرـيـباـ" (حلـيةـ الـأـوـلـيـاءـ ١٢٣٤).

5 _ *أـلـاـ يـقـصـدـ بـذـكـرـ الشـهـرـ فـهـيـ مـذـمـةـ وـقـدـ كـانـتـ عـنـ السـلـفـ أـقـذـرـ مـنـ الـجـيـفـةـ النـنـنـةـ*

بل تكاد أن تقول أجمعوا على ذلك، وسيرهم في ذلك عجيبة وأحوالهم فيها غريبة، وكانوا يكتبون وتارة يعزون، وأخرى يؤلفون في بيان ذمها، فلله درهم وعلى الله أجرهم هم ومن تبعهم.

قال الشاطئ: "وممّا انتهت الغفلة أو التغافل بقوم ممن يشار إليه من أهل العلم أن صيروا الترجيح بالتنقيص تصريحاً أو تعريضاً دأبهم، وعمروا بذلك دواوينهم، وسودوا به قراطيسهم...الخ" (٥٢٣/٤).

وفي الحالية مما يثبت شيء من هذا فعن عمر بن عبد العزيز رحمة الله قال: "إني لأدعُ كثيراً من الكلام مخافة المباهاة!".
وقال ابن المبارك رحمة الله: "كتب إلى سفيان الثوري: بُثَّ، واحذر الشهرة!".

وفي جامع بيان العلم عن أبي حازم رحمة الله قال، "صار الناس في زماننا يعيي الرجل من هو فوقه في العلم؛ ليرى الناس أنه ليس به حاجة إليهم!! ولا يذكر من هو مثله، ويذهب على من هو دونه، فذهب العلم وهلك الناس) وأنظر صحيح جامع بيان العلم ص (٥٣٢)، وهذا شأن أهل التعامل وإن كان فاعل ذلكشيخ زمانه...".

6 *ألا يتكلم الصغار في الكبار، ولا المتعالم في الطالب والعالم؛ ولا الطالب بالمتخصص، إلا بالحججة والبرهان.*

قال الإمام الذهبي رحمة الله كلاماً نفيساً في بيان هذا: "الجاهل لا يعلم رتبة نفسه فكيف يعرف رتبة غيره"، وقد قال أكثم الصيفي رحمة الله: "ويل لعالم أمر من جاهله، من جهل شيئاً عاداه، ومن أحب شيئاً استبعده" أخرجه ابن عبد البر في جامعه، وذكر ابن قيم في الإعلام عبارة: "من جهل الشيء عاداه، وعاد أهله" أو كما قال.

وي ينبغي أن يمسك المخالف لسانه في التكلم في العلماء وأهل الفضل: قال عمر رضي الله عنه: "إياكم والفتن فإن وقع اللسان فيها مثل وقع السيف".

والعلماء هم أولياء الله ذكره النبوى وابن جماعة والخطيب في الفقيه والمتفقه عن الإمامين أبي حنيفة والشافعى رحمهما الله، ومن أطلق لسانه فيهم بلي بموت القلب، وخشي عليه سوء المقلب، وأيم الله حكاية هؤلاء معلومة لا في زمانهم فحسب؛ بل في زماننا!! ولا يستغرب ذلك، فمن عاد أولياء الله فقد أذن بحرب الله، وكفاك بهذا الخطب في تعظيم حرمة أهل العلم.

7 *دعة المخالف والبيان من صحة ما قيل عنه ونُسب إليه، وتنكيره بالله إن ثبت ما قيل عنه* واستبيان السبب الذي جعله يقع فيما وقع فيه، فلعله تأول نصاً، أو اجتهد في غير موضعِ.

والأمر بالثبات واجب عيني؛ ثبت بالدليل القطعى والظانى، وعليه الإتفاق، وشأن من شاع الأخبار دون ثبت أو تبين شأن أهل النفاق، وإن لم يكن منهم فقد شابههم!!، ومن تشبه بقوم فهو منهم.

هذا إن كان الخبر في شأنٍ عام، فكيف بالله إن كان طعناً بعالِم جليل أو طالب علم نبيل، أو عابد صالح متبع للهدي غير افراط ولا تفريط.

واسمع لما قاله السبكي رحمة الله، في قاعدة الجرح والتعديل ص (٩٣) : "إذا كان الرجل ثقةً ومشهوداً له بالإيمان والاستقامة، لا ينبغي أن يحمل كلامه وألفاظ كتاباته على غير ما تعود منه ومن أمثاله، بل ينبغي التأويل الصالح، وحسن الظن الواجب به وبأمثاله": قلت العبد الفقير وما أن يتكلم رجل ناصحاً أو مبيناً لحكماً أو متكلماً بشخص أو معيناً لفعلٍ بالدليل واتباع للشرع لا للهوى مع مرعاة الحال؛ حتى ترى التهم المعلبة تساق له، والكلمات الجارحة تُوجه إليه ، بطعن بعلم الشيخ وعدلته والتحذير منه، بل وقد يصل الحد إلى موالة أعدائه كما حصل في زماننا هذا! ظناً من بعض من ضحك عليه، وغره ستر الله له أنها قربة لله(١)، وما هو إلا: سوء فهم، وتلبيس من عدو الله.

8 *ألا يتبع الهفوات والسقطات، فليس أحد بعد الصادق معصوم*

وهذا مجمع عليه في عقيدة أهل السنة والجماعة، وشأن من فعل ذلك هو واحد من اثنين، إما مريض قلب فيه نفاق و حقد وغل، أو جاهل ظلوم! لم ينصف ولم يعرف ماذا يفعل.

وفي صفة الصفوة عن قال بكر المزني رحمه الله قال "إذا رأيتم الرجل موكلًا بعيوب الناس، ناسيًا لعيبه، فاعلموا أنه قد مكر به".

وقال ابن رجب في جامع العلوم والحكم: "روي عن بعض السلف أنه قال: أدركت قوماً لم يكن لهم عيوب، فذكروا عيوب الناس، فذكر الناس لهم عيوباً، وأدركت أقواماً كانت لهم عيوب، فكفوا عن عيوب الناس، فنسّيت عيوبهم".

وينبغي عليه أن ينظر في الخلاف المعتبر وغير المعتبر وينظر في أسبابه، فصلاً عن نتائجه وعواقبه، كما حكا الشاطبي رحمة الله في المواقفات (٤٤٢٤).

٩ *ألا ينسب الخير لنفسه وينفيه عن غيره*

وأنظر إلى أسلوب القرآن في تصوير مثل هذا المشهد. قال تعالى: {قُلْ مَنْ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ قُلِ اللَّهُ وَإِنَّا أُوْلَئِكُمْ لَعَلَى هُدًى أَوْ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ}. قال القرطبي رحمه الله: "هذا على وجه الإنصاف في الحجة كما يقول القائل أحدهنا كاذب ، وهو يعلم أنه صادق وأن صاحبه كاذب، والمعنى: ما نحن وأنتم على أمر واحد ، بل على أمرين متضادين".

ومن صور نفسه بمثل الذي حذرنا فقد زاكها، والله يزكي من يشاء، ولا ينبغي لعبد أن يزكي نفسه ولا يمدحه على وجه التعالي والتكبر؛ ونصوص الكتاب والسنّة، مشهورة ومعلومة.

فهذه رسالة من هذا المبحث كفاية إن شاء الله والله أسأل لي وللمسلمين الهدية إنه أعظم مأمول، وخير مسؤول، والحمد لله رب العالمين.

وكتبه، خادم العلم وأهله أبي إسحاق محمود بن أحمد الزويد عفا الله عنه

(١) أمثال من يعنون الطواغيت والظلمة على المسلمين، كبعض المنتسبين للعلم مع سيسى مصر.